«فتنة الدنيا»

الحديث الثالث عشر:

عن أبي سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللهُ عنهُ انَّ النبيَّ ﷺ قالَ:

« إنَّ الدُّنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهُ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فَيَنْظُرَ كيفَ تعْمَلونَ، فاتَّقُوا الدُّنيا واتَّقوا النِّساءَ، فإنَّ اولَ فِتْنةِ بني إسْرائِيلَ كانَتْ في النِّساءِ ».

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية:

الدنيا: اسم لهذه الحياة التي يعيشها الانسان على سطح هذا الكوكب الأرضي، وهي مشتقة من الدنوّ لقربها الينا وقرب انتهائها، او من الدناءة لحقارتها وخسَّتها عند الله قال تعالى: ﴿**وما الحياةُ الدُّنيا إلا متاعُ الغُرُور**﴾ (١) وقال تعالى ﴿**وما هذِهِ الحياةُ الدُّنيا إلا لَهْوٌ ولَعِبٌ**﴾ (٢) وفي الأثر: (الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له).

حلوة خضرة: أي ذات حلاوة، وذات اخضرار، فالحلاوة تدرك بالذوق، والخضرةُ تدرك بالنظر وكلاهما مرغوب فيه، فإن النفس البشرية تشتهي من الفاكهة والطعام ما كان حلو الطعم، جميل المنظر، فاذا اجتمعت (الحلاوة والخضرة) كانت الرغبة أعظم، والميل اليها أكبر فهي بهجة النفس وقرّة العين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥، وسورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

obeikandl.com

مستخلفكم فيها: استخلفه جعله خليفة عنه، فالانسان كالوكيل عن الله عزّ وجل في هذه الحياة، فلا يصح ان يتصرف الا كما يأمره الباري تبارك وتعالى لأنه وكيل وليس بأصيل قال تعالى ﴿**وهوَ الذي جَعَلَكُم خلائِفَ الأرْضِ**﴾ (١) وقال تعالى ﴿**يا داودُ إنّا جعلْنَاكَ خليفةً في الأرْضِ**﴾ (٢) وقيل المعنى: جعلكم خلفاء عمّن كان قبلكم من الأمم فالانسان يخلف الانسان، والأمة تخلف الأمة.

اتقوا الدنيا: أي اجتنبوا فتنتها، واحذروا من كيدها، ولا تغتروا بها فتشغلكم عن طاعة الله وتلهيكم عن ذكره كما قال تعالى ﴿**يا أيُّها الّذينَ آمنُوا لا تُلْهِكُمْ أموالُكُمْ ولا اولادُكُمْ عنْ ذكرِ الله، ومنْ يفْعَلْ ذلك فأولئك همُ الخاسِرونَ**﴾ (٣).

واتقوا النساء: أي احذروا فتنتهن واغواءهن فإن فتنتهن عظيمة وكيدهن كبير، وكما روى عن علي رضي الله عنه انه قال: (يتظلّمن وهنَّ الظالمات، ويتمنّعن وهنَّ الراغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهنَّ وكونوا على حذرٍ من خيارهن) وفي الحديث الشريف: « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ».

الأبحاث النحوية:

١ - (إن الدنيا حلوة خضرة) إنّ حرف توكيد ونصب، الدنيا اسمها منصوب، و (حلوة) خبر إنّ مرفوع و (خضرة) خبر ثانٍ.

٢ - (إن الله مستخلفكم) لفظ الجلالة اسم « إنّ » والخبر هو (مستخلفكم) وهو مضاف والضمير (الكاف) مضاف اليه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٩.

٣ ـ جملة (كيف تعملون) مفعول به لينظر أي ينظر عملكم وينظر صنيعكم.

٤ ـ (فاتقوا الدنيا) الفاء هنا تسمى (فاء الفصيحة) والمعنى اذا كان الله مراقباً لعملكم ومطلعاً على صنيعكم فاتقوه في ذلك.

الابحاث البلاغية:

١ ـ قوله (إن الدنيا) جملة خبرية، و الغرض من هذا الخبر (التنبيه) الى فتنة **الدنيا**، وهو من النوع الطلبي لأنه مؤكد بـ (إنَّ).

٢ ـ قوله (حلوة خضرة) استعارة مكنية فقد شبه الدنيا بالفاكهة الحلوة الخضراء، وحذف المشبه به وهو الفاكهة، ورمز اليها بشيء من لوازمها وهي (الحلاوة والخضرة) على سبيل الاستعارة المكنية.

فالدنيا كالفاكهة الخضرة التي راق منظرها، وحلا مذاقها، وقد جمعت بين الوصفين المحبوبين الى النفس (الحلاوة والخضرة) فإن الحلو مرغوب فيه من جهة الذوق، والخضرة مرغوب فيها من جهة النظر.

٣ ـ قوله (فاتقوا الدنيا) جملة انشائية طلبية، العامل فيها الأمر، والأداة فعل الامر، والغرض منها (التحذير) الى خطر هذه الحياة، وتكرار كلمة (اتقوا) يفيد الاهتمام والمبالغة.

٤ ـ قوله (فإن اول فتنة) جملة خبرية مؤكدة بإن وهي من الضرب (الطلبي) والغرض من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) وهذه الجملة كالتعليل لما تقدم من الاحكام.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف نفحة من نفحات القُدس، ولمسة من لمسات الجمال، وإبداع في التصوير فوق ما يتصوره الخيال، فما أبدع هذا التعبير، وما أجمل ذلك التصوير الذي مثّل به الرسول الكريم ﷺ لهذه الدنيا الزائلة!!.

ولا عجب أن نرى تلك الاشراقة المضيئة، والقبس المنير في هدي سيد المرسلين، فلقد دانت له الفصاحة، وانقادت له البلاغة، فكان له منها الحظ الوفير، وأعطي جوامع الكلم، فكان افصح من نطق بالضاد، وأعظم من دعا الى الهدى والرشاد وبهذا التوجيه النبوي الكريم يلفت النبي ﷺ انتباهنا، ويوجّه انظارنا إلى سبيل الخير والسعادة، ويحذرنا من فتنة الدنيا، وشهوات الحياة.. فهذه الدنيا كم خدعت من أناس، وكم فتنت من خلائق؟ اغتروا بها، وفتنوا بما فيها، فأوردتهم موارد الهلاك، وجرّعتهم كؤوس الحسرة والندم، فلم ينالوا منها الا التافه، ولم يجنوا منها الا الحقير، فهي دار لغرور يغتر بها الجاهلون، ويركن اليها الغافلون، وما اجمل تصوير القرآن الكريم لهذه الحياة الفانية حيث قال تبارك وتعالى عنها: ﴿**أعلَمُوا أنما الحياةُ الدُّنيا لعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينَكُمْ وتكاثُرٌ في الامْوالِ والأولادِ كمَثَلِ غيْثٍ أعجبَ الكفّار** (أي الزرّاع) **نَباتُهُ ثمَّ يهيجُ فتراهُ مُصفَراً، ثمَّ يكونُ حُطاماً، وفي الآخرةِ عـذابٌ شديدٌ ومغفِرةٌ من الله ورضْوانٌ، وما الحياةُ الدُّنيا إلاّ متاعُ الغُرورِ**﴾[1] ولقد وضّح الرسول بهديه الكريم قيمة هذه الدنيا حتى لا يغترّ بها المؤمنون فقال صلوات الله عليه: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء». وكذلك كانت حياته ﷺ زهداً في الدنيا، وإعراضاً عنها، فكان يأكل اليسير من الطعام. ويلبس الخشن من الثياب وينام على الحصير، حتى دخل عليه بعض الصحابة يوماً فوجدوه نائما على حصير وقد أثّر في جنبه الشريف فرقّوا لحاله، ورثوا لشأنه فقالوا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً (أي فراشاً) فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما انا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها».

ولقد ختم الرسول ﷺ هذا الحديث الشريف بالنصح والإرشاد والتحذير من أمرين عظيمين هما: «فتنة الدنيا، وفتنة النساء» فقال: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) ثم علل ذلك بأن أوّل بلاء حلّ على بني اسرائيل، واول فتنة حصلت لهم إنما كانت بسبب شهوات الحياة وفتنة النساء، فليس هناك فتنة أخطر من فتنة النساء وصدق رسول الله

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

ﷺ حيث قال: « ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء ».

فيا له من توجيه عظيم وارشادٍ كريم دلنا عليه رسول الهدي والرحمة، اللّهم ارزقنا محبته، ووفقنا للإقتداء بهديه الكريم إنك سميع مجيب الدعاء.

obeikandl.com

obeikandl.com

«المعركة الفاصلة»

الحديث الرابع عشر:

عن أبي هُرَيْرة رضيَ اللهُ تعالى عنهُ عن النبي ﷺ انه قالَ:

(لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسلِمونَ اليهودَ، فيَقْتُلَهُمْ المُسْلِمونَ، حتّى يَختبئَ اليَهُوديُّ وراءَ الحجَر والشَّجر، فيقولُ الحجَرُ والشَّجرُ: يا مُسلمُ، يا عبدَ اللهِ، هَذا يهوديٌّ تَعالَ فاقْتُلْهُ، إلاّ الغَرْقَدَ فإنَّه مِنْ شَجَرِ اليَهودِ).

«رواه مسلم»

الأبحاث العربية:

لا تقوم الساعة: أي لا تنتهي الدنيا ولا تقوم القيامة، حتى تقع الحرب العظيمة بين المسلمين واليهود، وهذا من أمور الغيب التي أخبر عنها الصادق الصدوق.

يقاتل المسلمون: فيه إشارة إلا ان الحرب ستكون حرباً (دينية مقدسة) لا حرباً قومية، او وطنية، لأن تخصيص المسلمين بقتالهم يدلُّ على ان هذه الحرب ستكون بين أصحاب (العقيدة الحقة) من المؤمنين وبين (اليهود) الضالين وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة، فالرسول ﷺ لم يقل حتى يقاتل العربُ اليهودَ وإنما وضّح بأن الحرب تقع بين المسلمين واليهود، وأن الله عز وجل سيكرمُ عبادة المؤمنين بالنصر على عدوّهم.

فيقول الحجر: أي ينطقُ الله عز وجل الحجر الذي وقف وراءه اليهودي، وينطق

obeikandl.com

الشجر الذي اختبأ خلفه، وذلك كرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين.

وكلامُ الحجر او الشجر آية من آيات الله الباهرة، وهو (حقيقة) لا مجاز والله على كل شيء قدير.

الغرقد: شجر له شوك عظيم يكثر في أرض فلسطين وهو من الأشجار الخبيثة التي تشبه اليهود في خبثهم وصفاتهم الذميمة ولهذا قال (فإنه من شجر اليهود).

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (لا تقوم الساعة): جملة خبرية من النوع الابتدائي، وفائدة الخبر هنا (البشارة) بانتصار المسلمين على اليهود، فالخبر قد خرج عن معناه الأصلي الى المعنى المذكور.

٢ ـ قوله (وراء الحجر والشجر): بين لفظ (الحجر) و (الشجر) جناس يسمى (الجناس الناقص) كما يوجد في الجملة (سجع) وكلاهما من المحسّنات البديعية.

٣ ـ قوله (فإنه من شجر اليهود): جملة خبرية مؤكدة بأن فهي من الضرب (الطلبي) والمراد إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمّى (فائدة الخبر).

٤ ـ قوله (إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) فيه تشبيه يسمى (التشبيه الضمني) اي ان هذا الشجر خبيث كخبث اليهود، لذلك فإنه لا ينطق ستراً على اليهودي.

والتشبيهُ الضمنيُّ يكون التشبيه فيه (تلميحاً) لا (تصريحاً) كقول الشاعر:

« فإن تفقِ الأنام وأنتَ منهم فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ »

وكقول المتنبي:

« من يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ »

الشرح الأدبي:

وفي هذه الآونة الحرجة من حياة العرب والمسلمين، بعد ان استولى شُذَّاذ الآفاق على جزء كبير من فلسطين، واحتلوا اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وعاثوا في الأرض فساداً، وبعد ان شعر المسلمون بفداحة الكارثة وعظم المصيبة، وتجرّعوا كؤوس الحسرة والأسى، وذاقوا طعم الذل والهوان، بعد هذا تأتي بشائر النصر، ومواكب الخير والنور، تبشر بعودة الديار السليبة التي اغتصبها الصهاينة المجرمون، وبانتصار الحق المهان وعودته الى اصحابه ـ اصحاب العقيدة الراسخة ـ من المجاهدين المسلمين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.!

إنها لبشارة عظيمة من نبيّ صادق عظيم، تأتي في هذه الفترة العصيبة التي تكاد تأخذ بالخناق، والتي يشعر فيها كل مسلم بالأسى يعتصر قلبه، والحزن يحيط به من كل جانب، فلا يستطيع أن يتنفّس، ولا يستطيع ان يبتسم، ومن حوله إخوة له في العقيدة والدين مشرّدون.. وفي هذه الآونة العصيبة تأتي بشارة الرسول ﷺ بأن الدنيا لا يمكن ان تزول حتى تقع المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود، التي ينتصر فيها جند الرحمن على جند الشيطان، وتكون فيها الغلبة لعباد الله المؤمنين تصديقاً لقوله تعالى **﴿وإنّ جنْدَنا لَهُمُ الغَالِبونَ﴾**[1] وقوله جل ثناؤه **﴿وكانَ حقّاً علينا نَصْرُ المؤْمِنينَ﴾**[2].

وإذا كانت فلسطين قد ضاعت، وإذا كانت القدس قد ذهبت، بسبب تآمر أعداء الإسلام عليها، وتعاون بعض الخونة معهم، مما أدى إلى ضياع فلسطين وذهاب المسجد الأقصى، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليبشّرنا هنا في هذا الحديث الشريف بأن المعركة لم تنته بعد، وأن النهاية ستكون بانتصار الإسلام والمسلمين، وستظهر بعض العجائب والأمور الخارقة في ذلك الحين، حيث يتكلم الجماد، وينطق الشجر والحجر،

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.

فيقول: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا ذلك الشجر الخبيث الذي يشبه اليهود في خبثهم ولؤمهم ألا وهو شجر (الغرقد) فإنه لا ينطق إذا اختفى وراءه أحد من اليهود.

وهنا نقطة هامة ينبغي التنبه لها.. وهي اننا ما خسرنا المعركة ولا أضعنا فلسطين إلا حينما دخلنا المعركة بغير عقيدة، وقاتلنا تحت شعار (العصبيّة) الجاهلية وتركنا شعار (الدين).

وأننا لن نستعيد فلسطين إلا بالإيمان الصافي، والعقيدة الصادقة والإنضواء تحت راية الإسلام ورراية الدين، فهذا هو الذي سيحقق لنا النصر بمشيئة الله عز وجل، وهذا هو الذي أشار اليه الحديث الشريف، فذكر كلمة (المسلمين) وتكرارُها يدل على أن النصر سيكون لأصحاب العقيدة الحقة لأولئك الذين جعلوا إعلاء كلمة الله نصب أعينهم، والجهاد في سبيله هو غايتهم وهدفهم، لا تلك الدعوات البرّاقة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ولا تلك الشعارات المزيفة التي كانت سبباً في نكبتنا وخسارتنا، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

★ ★ ★

«شعب الإيمان»

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنهُ أنّ رسُول الله ﷺ قالَ:

«الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ أو بِضْعٌ وستّون شُعْبة، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلهَ إلاّ الله، وأدْناها إماطَةُ الأذى عنِ الطّريقِ، والحَياءُ شُعْبةٌ مِنَ الإيمانِ».

«رواه البخاري ومسلم»

الأبحاث اللغوية:

بضع: البِضع بكسر الباء من ثلاثة الى تسعة قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام. ﴿**فلبَث في السّجنِ بِضعَ سِنين**﴾[1] وأما بالضم فالمراد منه الجماع والشهوة قال ﷺ: «وفي بُضع أحدكم صدقة» وتتمة الحديث: قالوا يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر.

أو بضع وستون: (أو) للشك، والشك انما جاء من الراوي وهو (أبو هريرة) ولما كان الحديث النبوي مروياً باللفظ ويخشى الراوي الزيادة فيه او النقص منه جاء بصيغة (أو) للإشارة إلى انه متردد في سماعه من النبي ﷺ هل قال (بضع وسبعون) او (بضع وستون) شكّ فيه الراوي.

شُعْبَة: الشعبة: الخصلة والقطعة من الشيء اي الجزء منه والمراد من الحديث

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

oberkanol.com

الشريف ان الايمان بضع وسبعون خصلةً او جزءاً، وأن الحياء احد هذه الاجزاء والخصال.

قال (ابن حبان): (عددت كل طاعة عدها الله في كتابه والنبي ﷺ في سنته فإذا هي تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص فعلمت انه المراد) ورأي اكثر المحدّثين انها تسع وسبعون لا تسع وستون.

لا إله الا الله: هذه الجملة مكونة من لفظين احدهما سلبي والآخر ايجابي، فالجزء الاول منها (لا إله) هو السلبي وهو نفي الألوهية نفياً باتاً عن كل مخلوق، والجزء الثاني (إلا الله) هو الايجابي وهو إثبات الألوهية لله وحده دون سواه والمعنى (لا معبود بحق الا الله تعالى).

وأدناها: أي ادونها قدراً وأقلها شأناً، يقال أدنى الشيء بمعنى أقله وأحقره، وأدني الشيء بمعنى اقربه قال الشاعر العربي:

لـولا العقـولُ لكـان أدنـى ضيغـمٍ
أدنـى الى شـرفٍ مـن الإنسـانِ

إماطة الأذى: أي دفع الأذى وازالته عن الطريق كرفع حجر او تنحية شيء ضار تنزلق عليه الأقدام.

الحياء: هو لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب عليه، وفي الشرع هو: خُلقٌ يبعث على اجتناب القبيح الذي يمقته الله سبحانه ويكرهه.

الأبحاث النحوية:

الإيمان مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، خبره (بضع وسبعون) ولفظة (شعبةً) تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة وهو من نوع تمييز العدد.. (فأفضلها) خبر لشرط محذوف تقديره: إذا كان الإيمان ذا شعب عديدة فأفضل هذه الشعب قول (لا إله إلا الله) ذكره صاحب دليل الفالحين. ويصح وجه آخر وهو (أفضل) مبتدأ والهاء مضاف اليه

و (قول لا إله إلا الله) هو الخبر وإعراب (لا إله إلا الله) لا نافية للجنس تعمل عمل إن و (إله) اسمها والخبر محذوف تقديره لا إله معبودٌ بحق، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة بدل من الخبر (عن الطريق) الجار والمجرور متعلق بإماطة. (والحياء شعبة) مبتدأ وخبر، و (من الايمان) جار ومجرور متعلق بشعبة.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (الايمان بضع وسبعون) جملة خبرية الغرض منها إفادة الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمّى (فائدة الخبر).

٢ ـ قوله (فأفضلها قول لا إله إلا الله) جملة خبرية الغرض منها (التشويق) والترغيب إلى هذه الخصلة الحميدة.

٣ ـ بين لفظ (أعلاها وأدناها) كما ورد في الرواية الأخرى (طباق).

٤ ـ قوله (والحياء شعبة من الإيمان) جملة خبرية الغرض منها الترغيب والتشويق إلى تلك الخصلة الحميدة خصلة (الحياء).

ترجمة راوي الحديث:

مرت ترجمته معنا في الأحاديث السابقة واسمه (عبد الرحمن بن صخر الدّوسي) وهو من أكابر الصحابة، ومن الحفاظ الثقات المجيدين للحفظ والضبط، ونزيد هنا في الترجمة ذكر قصة إسلام أمه رضي الله عنها ودعوة الرسول ﷺ له ولأمه، وما ورد في هذه القصة من معجزة للرسول الكريم في استجابة دعائه عاجلاً. يقول ابو هريرة رضي الله عنه:

(كنت أدعو امي الى الاسلام فتأبى عليّ، فدعوتها يوماً إلى الاسلام فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره (اي انها شتمت الرسول ونالت منه) قال فذهبت الى رسول الله ﷺ وانا ابكي من شدة الحزن والألم، فلما رآني قال: مالك يا أبا هريرة؟ قلت يا رسول الله: كنت ادعو امي الى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما

أكره، فادع الله ان يهدي قلبها للاسلام فقال النبي ﷺ : اللهم اهد قلب ام أبي هريرة للإسلام.

قال فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ ، فلما وصلت البيت اردت الدخول فقالت على رِسلك يا أبا هريرة، قال: وسمعت خشخشة الماء فلبِست ثوبها ثم فتحت لي الباب وهي تقول (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله) قال: فرجعت الى رسول الله ﷺ وانا ابكي من شدة الفرح فقلت يا رسول الله ابشر فقد استجيبت دعوتك وهدى الله ام ابي هريرة للإسلام فحمد الرسول ربه وأثنى عليه، فقلت يا رسول الله ادع الله لي ولأمي ان يحبّبنا إلى المسلمين ويحبّب المسلمين الينا فدعا له الرسول الكريم قال فما رآني أحد ولا سمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبّني أنا وأمي.

الشرح الادبي:

في هذا الدين العظيم الذي جاء به سيد الأولين والآخرين، آداب اجتماعية، ومثل انسانية، وأخلاق رفيعة، تجعله ـ بحق ـ مفخرة الأديان، وأعجوبة الأزمان، ورائد جميع التشريعات السماوية، والنظم الأرضية، بما يحقّق الخير، والعدل، والسعادة لبني الإنسان، فما من فضيلة من الفضائل، ولا مكرمة من المكارم، ولا صغيرة او كبيرة من الآداب الاجتماعية الحميدة إلا دعا إليها الدين، ورغّب فيها الإسلام، وإن شئت فقل: (انه دين الآداب والأخلاق) بل انه دين الحياة بأسرها لأنه دين الفضائل والكمالات.

فالإيمان ليس مجرد اعتقاد بالله، او خوف من عقابه، انما هو عقيدة وعمل، ونظام وأدب، وخلق واستقامة، فهو درجات متعددة، ومنازل متفاوتة، يبدأ بالنطق بكلمة الاخلاص (كلمة التوحيد) لا إله إلا الله محمد رسول الله، وينتهي بدفع الأذى عن طريق المسلمين. فلله ما أسمى هذا الدين الذي يجعل من الايمان بالله طريقاً إلى الإحسان إلى خلقه، ويجعل من تمام العقيدة دفع الاذى عن طريق المسلمين؟!

وحقاً انه لممّا يرفع رأس المسلم عالياً ان يأتي تشريع الإسلام بمثل هذه النظم الرفيعة والآداب الكريمة، وان ينص نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم على ان من

مراتب الإيمان ومن خصال اليقين ان يزيل المسلم الأذى عن الطريق، وان يكون متصفاً بمكارم الأخلاق، فيستحيي الحياء المطلوب، ويبتعد عن سفاسف الأمور، فيكون في نفسه تقياً، ومع الناس حيياً، فالحياء لا يأتي الا بخير لانه شعبة من شعب الايمان، وخصلة من خصال الدين، وقديما قال الشاعر العربي:

« فـــلا والله ما في العيـــش خيـــر ولا الدنيـــا إذا ذهـــب الحيـــاءُ »
« يعيـــش المـــرء ما استحيا بخيـــر ويبقـى العـــود مـــا بقـــي اللحـــاءُ »

وليس الحياء ـ الحقيقي ـ أن يكون الإنسان كثير الخجل يستحي من المطالبة حتى من حقوقه المشروعة، ولكنّ الحياء ان يجتنب القبيح، ويبتعد عن الرذائل، ويطهر نفسه من الرجس والآثام وأن ينفر من عمل ما يعاب عليه، وقد وضّح هذا المعنى قول النبي ﷺ في حِكمِه الروائع: « إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ ».

obeikandl.com

«غنى النفس»

الحديث السادس عشر:

عن عَمْرو بن عَوْفٍ الأنصاريّ رضيَ الله عنهُ أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ للأنصارِ ذاتَ يومٍ [1].

«أبشِرُوا وأمّلوا ما يسُرُّكم، فواللهِ ما الفَقْرَ أخْشى عليكُمْ، ولكنّي أخشى ان تُبْسَطَ الدُنيا عليكُم كما بُسطت على مَنْ كانَ قَبْلَكُم، فتنافَسُوها كما تنَافسُوها فتهلكَكُم كما أهْلَكَتْهُمْ».

«متفق عليه»

الأبحاث العربية:

أبشروا: من البشارة وهي الاخبار عما يسرُّ ويُفرح، على عكس الإنذار فهو الإخبار عما يسوء ويضر، فالبشارة تستعمل للخير، والإنذار للشر، أما قوله تعالى ﴿**فبشِّرهم بعذابٍ بعذابٍ أليم**﴾ [2] فهو من الأسلوب التهكمي.

وأمّلوا: أمر من الأمل بمعنى الطمع والرغبة فيما يحب ويشتهي، وفي هذا اللفظ تطمين لنفوس الانصار بالحصول على مقصودهم من توسعة النبي ﷺ عليهم بما رزقه الله.

تُبسط الدنيا: البسط في اللغة نشر الشيء وتوسعته، والمراد من بسط الدنيا ان يوسّع عليهم في الرزق يقال بسط الله عليه الرزق أي وسّعه قال

---

(١) انظر، رياض الصالحين ص ١٩٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤، وسورة الأنشقاق، الآية: ٢٤.

تعالى ﴿**ولو بَسَطَ الله الرّزقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوا في الأرضِ**﴾ [1].

الدنيا: مأخوذة من الدنوّ اي القرب فهي بالنسبة للآخرة قريبة، او من الدناءة بمعنى الحقارة لأنها بالنسبة للآخرة حقيرة لا قيمة لها. وفي الحديث الشريف «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء» وقال تعالى ﴿**وما الحياةُ الدُّنيا إلاّ مَتاعُ الغُرور**﴾ [2].

فتنافسوها: التنافس هو التسابق إلى امر من الأمور ومنه قوله تعالى ﴿**وفي ذلِكَ فَلْيَتنافَسِ المُتَنافِسونَ**﴾ [3] والمراد ان الناس يتسابقون لجميع حطام الدنيا وفي ذلك هلاكهم، وهو مضارع حذف منه احد التاءين تخفيفاً فأصلها (تتنافسوها) وهذا مثل قوله تعالى ﴿**تنـزّل الملائِكَةُ**﴾ [4] أي تتنزّل.

فتهلككم: أي يكون التنافس في الدنيا سبباً للانشغال عن الآخرة كما يكون من وراء التنافس التحاسد ثم التباغض وفي هذا هلاك للبشر كما هلك السابقون بسبب تكالبهم على الدنيا.

سبب الحديث الشريف:

لهذا الحديث الشريف قصة ذكرها المحدّثون في كتب الحديث وهي ان النبي ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها (أي بجزية أهلها لأن اهلها كانوا مجوساً) فقدم بمالٍ من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم (ابي عبيدة) فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٤) سورة القدر، الآية: ٤.

فتعرضوا له، فتبسّم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن ابا عبيدة قدم بشيء من البحرين، فقالوا: أجل، فقال: «أبشروا وأمّلوا ما يسرّكم».. الخ»..

الأبحاث البلاغية:

١ ـ (ابشروا وأملوا ما يسركم) انشاء طلبي والمراد بالأمر هنا (المؤانسة) فقد خرج عن أصله وهو الوجوب الى معنى آخر وهو الإكرام وإدخال المسرة الى القلب.

٢ ـ في اللفظ أيضاً (أبشروا وأملوا) ما يسمى في علم البديع (بمراعاة النظير) وهو الجميع بين امرين أو امور متناسبة تزيد الكلام رونقاً وجمالاً فهنا لفظ (أملوا) متناسب جداً مع (أبشروا).

٣ ـ (فوالله ما الفقر أخشى عليكم) جملة خبرية لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) وقد جاء مؤكداً بالقسم (فـوالله) وفيه أيضا من الناحية البلاغية (تقديم ما حقه التأخير) للعناية به والاهتمام والأصل (والله ما أخشى عليكم الفقر).

٤ ـ في لفظ (ولكني أخشى ان تبسط الدنيا عليكم) مقابلة لطيفة، فإن الفقر يقابله الغنى وهو المعبّر عنه بلفظ (تبسط الدنيا) أي تفتنوا وبَسَطُ الدنيا المراد منه سعة الرزق فهو (كناية) عن الغنى.

٥ ـ (فتنافسوها كما تنافسوها) فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مجملاً) أي تتسابقون الى الدنيا كما تسابق من قبلكم من الأمم (فتهلككم كما أهلكتهم) وفي هذا أيضاً تشبيه كسابقه اي فتكون سبباً لاهلاككم مثل ما أهلكت من سبقكم بحبهم للدنيا وتكالبهم عليها.

الأبحاث النحوية:

١ ـ (أمّلوا ما يسركم): املوا فعل امر مبني على حذف النون والواو فاعل. (ما يسركم): ما اسم موصول بمعنى الذي مفعول به، (ما الفقرَ) ما نافية والفقر مفعول

مقدم و (عليكم) متعلق بأخشى (أن تبسط): أن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به و (الدنيا): نائب فاعل.

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث هو (عمرو بن عوف الانصاري) البدري حليف بني عامر بن لؤي، أصله من المدينة المنورة، وقد نزل مكة وحالف بعض أهلها، فهو أنصاري المولد لأنه من أهل المدينة، ومهاجري لأنه هاجر مع الصحابة بعد اقامته الطويلة بمكة المكرمة، وقد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فهو من أهل بدر اتفاقاً، أخرج ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن اسحاق انه قال: ممن شهد بدراً (عمرو بن عوف) مولى (سهيل بن عمرو) وقال هكذا جعله ابن اسحق مولى وجعله غيره حليفاً ولم يكن له عقب (اي نسل وذرية)، وروايته للأحاديث الشريفة قليلة رضي الله عنه وعن سائر اصحاب رسول الله اجمعين، ونسأله تعالى ان يجمعنا بهم في مستقر رحمته آمين.

الشرح الأدبي:

رضي الله عن اصحاب رسول الله ﷺ فقد كانوا رجالاً ابطالاً وتربوا في «مدرسة الايمان» مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام، فلم تشغلهم الدنيا، ولم تفتنهم زينة الحياة!! لقد كانوا مع شدة فقرهم وقلة ما لديهم من مال، وشدة حاجتهم، واضطرارهم، أعزة النفوس، أعفّاء كرماء كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال: ﴿**للفُقراءِ الّذين أُحصِرُوا في سبيلِ الله لا يَسْتَطيعُونَ ضرْباً في الأرضِ يَحْسَبُهم الجاهلُ اغنياءَ مِنَ التعفُّفِ تَعْرِفُهُم بسيماهُمْ لا يسألُون الناسَ إلحافاً..**﴾[1] الآية.

ها هم اولاء - رضوان الله عليهم - يسمعون بقدوم ابي عبيدة رضي الله عنه، من البحرين بمال عظيم بعد ان فتح الله على المسلمين البلاد، فيوافون رسول الله ﷺ في صلاة الفجر يؤدون الصلاة معه، وحين يعزم الرسول على الدخول الى بيته يتعرض اليه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

هؤلاء الفقراء بأدب ووقار.. لا يسألونه ان يقسم عليهم المال، فقد كان الحياء يمنعهم من ابداء حاجتهم واضطرارهم حتى لرسول الله ﷺ.. يتعرضون له كأنهم يريدون السلام عليه، ولكنّ الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم يدرك - بقوة البصيرة - غرضهم، ويعرف هدفهم فيبتسم لهم ابتسامة الرضى والاطمئنان، ويبشرهم بحصول مطلوبهم فيقول «أبشروا وأمّلوا»...

انها لتربية كريمة وتوجيه سليم، وجَّه النبي ﷺ اصحابه اليه فهو في هذه الحالة لا يترك إسداء النصح لهم، ولا يقصر في توجيههم الوجهة الصحيحة فيلفت أنظارهم بكلامه العذب الجميل إلى معانٍ ساميةٍ رفيعة ينبغي الا تغيب عنهم، وألاّ يغفلوا عنها، وهي ان هذه الحياة الدنيا بما فيها من زخرف ومتاع، وبما تحويه من زينة وبهرج، لا تستحق ان يشقى الإنسان من أجلها وينصب. بل عليه ان يأخذ منها ما يكفيه وأن يهتم بما يكون سبباً لسعادته في الآخرة.. فالإنسان مهما جمع من مال وكدّس من ثروة، تبقى نفسه متطلعة الى المزيد وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولن يملأ فم ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»..!

وما اكرم هذا التوجيه النبوي الخالد، الزاخر بالحكم والمواعظ، (ابن آدم... عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك.. ابن آدم لا بقليل تقنع، ولا بكثير تشبع.. ابن آدم إذا اصبحت معافى في بدنك آمناً في سِرْبك (أي اهلك ووطنك) عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفاء).

فالعاقل ينبغي ألاّ يشغل نفسه بالشيء التافه ويترك الشيء النفيس، فكل ما في هذه الحياة الدنيا من متع وشهوات، ومن فتنٍ ومغريات، ومن زينة وبهرج، ليس طريقاً لسعادة الانسان، لأن السعادة الحقيقية ليست بالأملاك والقصور، ولا بالذهب والفضة، ولا بالمتاع والرياش إنما هي في تقوى الله، وغنى النفس، وراحة الضمير، وما أحسن ما قيل:

« ولستُ أرى السّعادة جمع مال ولكن « التقيّ » هو السعيدُ »

ومن الشعر الاسلامي الحديث قوله :

« تقْوى الإله اذا تخالط مهجةً تُروي القلوب الظامئات وتُعتقُ »
« إنّ التقيّ يعيشُ في كنف الهنا فاذا اردتم ان تفوزوا فاتقوا »
« فيها لقلبكَ بهجةٌ وسكينةٌ وبها لعقلك راحة وتألّقُ »

* * *

obeikandl.com